رحمة الرسول ﷺ
بالمخالفين في أثناء الحرب

إعداد:
د. عبدالمحسن أحمد محمد علي
أستاذ مساعد بجامعة نجران – فرع شرورة
كلية العلوم والآداب
قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الواحد المعبود، الذي عمت حكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدالله ورسوله، صاحب المقام المحمود الذي أرسله ربه رحمة للمؤمن المحب الودود والكافر العدو اللدود، فاللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم من المؤمنين الشهود.

أما بعد:

فلقد بعث الله تعالى رسوله الكريم ﷺ هدى ورحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال ﷺ: «إنما بعثت رحمة»(١)، وقال ﷺ: "إنما أنا رحمة مهداة"(٢).

ولقد كانت رحمة النبي ﷺ خلقًا من أخلاقه الكريمة وأسلوب حياة تعامل به مع أتباعه الموافقين، وإن تعجب فعجب أن نقول وأيضًا مع أعدائه الكافرين

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج: ٤/ ٢٠٠٦ حديث رقم: ٢٥٩٩، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيره، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ١/ ٩١ حديث رقم: ١٠٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

المخالفين من اليهود والنصارى والمشركين، ورحمته ﷺ بهؤلاء بلغت غايتها ومداها، حيث إنها لم تقتصر على الرحمة بهم في السلم فقط، بل وفي الحرب -أيضًا- فغمرت رحمته ﷺ في أثناء الحرب المحاربين والمدنيين والمستأمنين والأسرى وغيرهم من المخالفين، وأيضًا بيئتهم التي يعيشون فيها ومقدراتهم وممتلكاتهم، وقد وفقني الله ﷻ لاختيار هذا البحث، لأتحدث فيه عن هذا الجانب من جوانب رحمة النبي ﷺ، وجعلته بعنوان (رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب)، اقتصرت فيه على الحديث عن رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين له في أثناء الحرب ومظاهر ذلك، وذلك خشية الإطالة، ولأن الرحمة في الحرب أمر بعيد وغير متوقع، لكن سلكه النبي ﷺ مع مخالفيه، ويحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان أكثر من غيره.

وفيما يلي أسباب اختياري لموضوع البحث، وأهدافه، ومشكلته، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أولًا: أسباب اختياري لموضوع البحث:

كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:

١. إظهار جانب من جوانب رحمة النبي ﷺ العامة، وهو رحمته ﷺ بالأعداء المخالفين من أهل الكتاب والمشركين في الحرب والقتال بينهم وبين رسول الله ﷺ والمؤمنين.

٢. الرد من خلاله على أولئك المسيئين لرسول ﷺ بالقول أو الفعل واصفين له بالعنف والقسوة والإرهاب، مبينًا أن النبي ﷺ كان رحيمًا، بلغت رحمته مداها مع مخالفيه قبل متبعيه، حتى في حالة لا يتوقع فيها رحمة أو رأفة، وهي حالة الحرب والقتال، وأنه لم يكن أبدًا قاسيًا ولا عنيفًا ولا إرهابيًا، كما يفتري أولئك الأفاكون.

٣. المشاركة به في مؤتمر الرحمة الذي ستعقده -بمشيئة الله تعالى- جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية.

ثانيًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أهداف، منها:

١. التأكيد على أن الإسلام دين الرفق الرحمة، وليس دين العنف والإرهاب، وأن نبيه ﷺ نبي الرأفة الرحمة وليس نبي القسوة والعنف حتى مع غير الأتباع والأحباب.

٢. الرد من خلاله على من يسيئون لرسول الإسلام، ويصفونه والإسلام بالإرهاب، وهو منه برئ، ببيان جانب من جوانب رحمته ﷺ بالمخالفين من أعدائه، ودعوتهم إلى قراءة سيرة رسول الله ﷺ، ليقفوا على منهجه ﷺ في تعامله مع أسلافهم، وهم الذين لم يدعوا وسيلة من وسائل العنف والإرهاب والقسوة والغدر إلا وقد مارسوها معه ومع أصحابه، من ضرب وتعذيب وطرد ومحاربة وحصار ونقض للعهود والمواثيق ومحاولة اغتيال أكثر من مرة، ومع ذلك كانت رحمته ﷺ بهم هي الغالبة على الانتقام والعفو هو الغالب على المعاملة بالمثل، فقد فاقت رحمته الوصف، وزادت عن الحد إذا قسناها بمنظور البشر.

٣. دعوة المسلمين إلى الاقتداء برسول الله ﷺ في تخلقه بخلق الرحمة، حتى مع المخالفين لهم في العقيدة أو الرأي.

٤. بيان أن قتاله ﷺ للمخالفين في الدين والعقيدة إنما كان رحمة بهم، أما بالنسبة لمن آمن منهم عقب الحرب أو الغزو فظاهر، وبالنسبة لمن قتل منهم في ميدان الحرب والقتال فوجه الرأفة والرحمة في

ذلك أن قتله منعه من التمادي في غيه وضلاله، فلا يزيد عذابه وعقابه عند الله ﷻ، وبالنسبة لمن بقي منهم فلعله يراجع نفسه عندما يرى انتصار المسلمين في الحروب، فيعلم أنهم على الحق المبين فيسلم أو يكف عن قتال المسلمين، ويأمنوا شره أجمعين.

ثالثًا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان مظاهر رحمة النبي ﷺ بالمخالفين له في ميدان الحرب والقتال ببيان أن النبي ﷺ لم يكن قاسيًا أو عنيفًا في الحروب والغزوات، بل كان رؤوفًا رحيمًا لا يقاتل إلا من حمل السلاح عليه وقاتله، ولم يتعد حدود القتال والقتل، وإن شئت فقل: إن النبي ﷺ حارب أعداءه المخالفين له بالرحمة، وانتصر عليهم بها، وكانت سببًا في إسلام الكثير منهم.

رابعًا: منهجي في البحث:

اتبعت في هذا البحث -بفضل الله ومنِّه- المنهج الاستقرائي الاستنباطي، بجمع الأحاديث والآثار التي تدل على مظاهر وصور رحمة النبي ﷺ بالمخالفين له في الحرب والقتال من كتب الصحاح والمسانيد والسنن والآثار والسيرة، وبيان الحكم على ما يحتاج إلى حكم منها، مقتصرًا في الغالب على الصحيح أو الحسن من تلك الأحاديث والآثار، ثم استنباط مظهر الرحمة منها، والله الموفق.

خامسًا: الدراسات السابقة:

ألفت عدة كتب وسطرت عدة أبحاث لها صلة وثيقة بموضوع هذا البحث منها:

١. الرحمة في حياة الرسول ﷺ للدكتور/ راغب السرجاني وهو

بحث حائز على جائزة المركز الأول بالمناصفة في مسابقة معالي السيد/ حسن عباس الشربتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة ﷺ، عام ١٤٢٨هـ، تحدث المؤلف في هذا البحث عن عموم رحمة النبي ﷺ وعقد فصلًا كاملًا عن رحمته ﷺ في أثناء الحرب.

٢. أخلاق النبي ﷺ في الحرب لأماني زكريا الرمادي، وهو كتاب تحدثت فيه مؤلفته عن عموم أخلاق النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها والتي منها أخلاقه ﷺ في الحرب مع الأعداء من الحلم والرفق والوفاء وحسن معاملة الأسرى، وغير ذلك.

٣. الهدي النبوي في التعامل مع نساء المشركين في المعارك للدكتور/ أحمد حلمي سعيد، وهو بحث شارك به المؤلف في مؤتمر الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ، الذي عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ٧-٨ صفر ١٤٣٥هـ، تحدث فيه مؤلفه عن الوصايا النبوية بعدم قتل النساء في المعركة، والموقف من المشركة المقاتلة ومن في حكمها، ومواقف نبيلة من أسيرات المعركة من المشركات، والهدي النبوي في مبادلة الأسرى،وتشبع الصحابة بالخلق النبوي في المعركة.

ويلاحظ أن هذه المؤلفات تناولت إما عموم رحمة النبيﷺ، أو عموم أخلاقه ﷺ في الحرب وغيرها، أو خصوص رحمته ﷺ بصنف معين أثناء الحرب وهو: نساء المشركات وحسن معاملته ﷺ لهن، لذا أردت ان أفرد بحثًا خاصًا بخلق من أخلاقه ﷺ، وهو الرحمة وفي مواقف معينة وهي الحروب وبجميع الأصناف في الحروب، وهم الرجال والنساء والصبيان والشيوخ، وغير ذلك، وأسميته (رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب) وفيما يلي خطة هذا البحث:

سادسًا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه -بعد توفيق الله تعالى وتيسيره- إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة، فبينت فيها أسباب اختياري لموضوع البحث، وأهدافه ومشكلته ومنهجي فيه والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أما المباحث الخمسة للبحث فهي كما يلي:

المبحث الاول: رحمة النبي ﷺ بالمحاربين من الأعداء المخالفين وقد قسمته إلى خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ بالمحاربين في تقديم السِّلم على الحرب.

المطلب الثاني: رحمته ﷺ في استجابته لتوسلات أعدائه وقبول المفاوضة معهم.

المطلب الثالث: رحمته ﷺ في منع التمثيل بجثث القتلى.

المطلب الرابع: رحمته ﷺ في منع استخدام الوسائل المحرمة في القتل.

المطلب الخامس: رحمته ﷺ في تأمين مصابي الحرب والفارين منها والمستسلمين.

المبحث الثاني: رحمته ﷺ في حماية المستكرهين على الحرب والمستأمنين وقد قسمته إلى مطلبين، وهما:

المطلب الأول: رحمته ﷺ في حماية المستكرهين على الحرب.

المطلب الثاني: رحمته ﷺ في حماية المستأمنين.

المبحث الثالث: رحمته ﷺ في حماية المدنيين في أثناء الحرب وقد قسمته إلى مطلبين وهما:

المطلب الأول: رحمته ﷺ بالمدنيين في عدم الإغارة على العدو ليلًا حتى لا يروعهم:

المطلب الثاني: رحمته ﷺ في التحذير من قتل المدنيين في الحرب.

المبحث الرابع: رحمته ﷺ في حماية البيئة عند الحرب، وقد قسمته إلى مطلبين وهما

المطلب الأول: تعريف البيئة.

المطلب الثاني: مظاهر رحمة النبي ﷺ في حماية بيئة الأعداء أثناء الحرب والقتال.

المبحث الخامس: رحمته ﷺ بأسرى الحرب وقد قسمته إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسرى وموقف القرآن الكريم منهم.

المطلب الثاني: رحمة النبي ﷺ بالأسرى في دعوتهم إلى الإسلام.

المطلب الثالث: رحمة النبي ﷺ في العفو عن أسرى الحرب وإطلاق سراحهم بلا فداء.

المطلب الرابع: رحمته ﷺ في إطلاق سراح أسرى الحرب بفداء.

المطلب الخامس: رحمته ﷺ بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم.

الخاتمة نسأل الله حسنها: وقد ذكرت فيها نتائج البحث، وأهم التوصيات.

ثم ذيلت البحث بالمراجع والمصادر ثم فهرس للموضوعات.

والله تعالى ولي التوفيق

المبحث الأول
رحمة النبي ﷺ بالمحاربين من الأعداء المخالفين

لقد عمت رحمة النبي ﷺ المحاربين من أعداء الدين المخالفين في كثير من المواقف والمظاهر تتضح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
رحمة النبي ﷺ بالمحاربين في تقديم السِّلم على الحرب

إنَّ الحرب لم تكن بالنسبة للنبي ﷺ غاية، بل كانت وسيلة لدفع الظلم، ورد العدوان، ودفاع عن الحقوق وإعلاء لكلمة الله ﷻ وضمانًا لحرية الاعتقاد للمؤمنين، وحماية للدعوة، ورحمة بأعدائه، حتى لا يستمروا على ضلالهم وكفرهم، فيزداد عذابهم في الآخرة، لذا كان ﷺ لا يبدأ أحدًا بالقتال بل كان لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعتدي إلا على من اعتدى عليه، كما أمره الله تعالى في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة:١٩٠]. فلم يحارب ﷺ إلا إذا كان مضطرًا للحرب، ولم يهاجم ﷺ عدوًا قبل أن يعرض عليه الإسلام والسلام والأمان قبل الحرب والقتال والخوف وكان هذا منهجًا له ﷺ وأسلوبًا رسمه الله له في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة:٢٠٨]، وأمره بتطبيقه، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال:٦٠] وطبق النبي ﷺ هذا المنهج عمليًا فلم يبدأ ﷺ عدوًا مخالفًا له بالحرب، بل كان ﷺ يكره كلمة حرب في حد ذاتها ولا يحب أن يسمي بها أحدًا من الأطفال، فعن علي، قال: "لما ولد الحسن سميته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: "أروني ابني، ما سميتموه؟" قال: قلت: حربًا. قال: "بل هو حسن..."[1] الحديث" وكان كان يكره لقاء العدو ووصى أصحابه بعدم تمني لقائه فقال لهم: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية"[2].

وهناك مواقف كثيرة كان النبي ﷺ يقدم فيها السلم على الحرب والأمن على الخوف وحقن الدماء على سفكها، ويعدُّ فيها السلم هو القاعدة والحرب شذوذًا عن هذه القاعدة، لأنه نبي الرحمة والرأفة، من ذلك:

١. العهود التي عقدها النبي ﷺ مع أعدائه المخالفين له حيث "كان النبي ﷺ يفضل عقد المعاهدات مع خصومه، ويسارع في إبرامها ليغلق الباب أمام الحرب، وتكاد المعاهدات تبلغ عدد الغزوات[3]، وما هذا إلاَّ لحرصه على تجنب الحرب"[4] وهي معاهدات قائمة على

(١) المسند لأحمد بن حنبل: ٢/ ١٥٩ حديث رقم: ٧٦٨ الناشر: مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب الأرناؤوط، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري ٤/ ٥١ حديث رقم: ٢٩٦٥ - كتاب الجهاد والسير - باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس الناشر: دار طوق النجاة، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٦٢ حديث رقم: ١٧٤٢ كتاب الجهاد والسير - باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء.

(٣) عدد غزوات الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة فقد روى أبو إسحاق أنه سأل زيد بن أرقم ﷺ: كم غزا رسول الله ﷺ؟ فقل: "تسع عشرة غزوة": صحيح مسلم:٣/ ١٤٤٧حديث رقم: ١٢٥٤ كتاب الجهاد والسير - باب عدد غزوات النبي ﷺ، وفي رواية: عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ «غزا تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان»، المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر ابن أبي شيبة: ٢/ ٣٥١ حديث رقم: ٣٦٦٤٦ - تحقيق: كمال يوسف الحوت - الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

(٤) مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد ﷺ للدكتورة/ سارة آدم: ص: ١٢١ إعداد زيد عمر عبدالله العيص بدون طبعة.

الرحمة والوفاء والعدل وحب السلم وتقديمه على الحرب، من هذه المعاهدات: صلح الحديبية الذي عقده الرسول ﷺ مع المشركين "برغم معاناة رسول الله ﷺ منهم تسعة عشر عامًا كاملة سبقت هذا الصلح، حيث تعرض رسول الله ﷺ وأصحابه للاضطهاد والتعذيب، ولكن رسول الله ﷺ كان حريصًا على إتمام هذه المعاهدة؛ مما يدل على مدى سماحته ﷺ مع أعدائه وحبّه ﷺ للسلام، إنه مع كل هذه المعاناة التي شاهدها رسول الله ﷺ نجده يفَكِّرُ في الذهاب إلى عقر دار المشركين في سكينة وسلام؛ ليؤدِّي مناسك العمرة التي أُرِيَهَا في الرؤيا، ثم يعود إلى المدينة المنورة دون قتال ولا نِزَالٍ"[1].

فقد روى شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب، يقول: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: «هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله»، فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: «امحه»، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده، قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة، فيقيموا بها ثلاثًا، ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح، قلت لأبي إسحاق: وما جلبان السلاح؟ قال: «القراب وما فيه»[2].

وإن تعجب فعجب قوله ﷺ يوم الحديبية: (والله، لا تدْعوني قريشٌ إلى خُطَّة توصَل بها الأرحام، وتَعْظُم فيها الحُرُمات إلاَّ أعطيتُهم إيَّاها)[3] يقول ﷺ هذا وهم الذين آذوه هو وأصحابه بمكة وأخرجوه

(١) أخلاق الحروب في السنة النبوية، لراغب السرجاني: ص: ٢٢١، الناشر/ ط١- مؤسسة اقرأ - القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ١٨٤ حديث رقم: ٢٦٩٨ كتاب الصلح باب: كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، صحيح مسلم: ٣/ ١٤٠٩ حديث رقم: ١٧٨٣ كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية في الحديبية واللفظ له

(٣) مسند الإمام الأحمد: ٣١/ ٢١٢، ٢١٣ حديث رقم: ١٨٩١٠، صحيح البخاري: ٣/ ١٩٣ حديث رقم: =

منها وحاربوه في حروب عديدة بعد الهجرة وقبل صلح الحديبية إنها رحمة النبوة وأخلاق الرسالة والرغبة في السلم وحقن الدماء.

٢. هذا الموقف العظيم الذي حدث في غزوة خيبر عندما جاء علي بن أبي طالب ﷺ يسأل النبي ﷺ أيبدأ المشركين بالقتال والحرب فأبى النبي ﷺ، وأمره أن يبدأ بالسلم قبل الحرب، بالرحمة قبل القسوة، بالأمن قبل الخوف، فعن سهل بن سعد ﷺ: أن النبي ﷺ قال لعلي ﷺ يوم خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[(١)].

«فالرسول ﷺ في هذا الموقف وهو القائد، وكان من المتوقع أن يُلهب حماس جنده، راح ﷺ يُهدئ من حماسة علي ﷺ، ويأمره ومن معه بالهدوء في الأمر كما هو واضح في قوله: "انفذ على رسلك «ويأمرهم بدعوة هؤلاء القوم إلى الإسلام، وما يجب عليهم نحو الله – سبحانه وتعالى – ثم هو ﷺ يخبرهم بالأجر العظيم المترتب على هداية فرد واحد مما يجعل هَم الكتيبة المسلمة ليس القتل وسفك الدماء، وإنما هداية البشر إلى الله، حتى ينالوا هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل من رب العالمين"[(٢)].

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لعلي: «لا تقاتل قومًا حتى تدعوهم»[(٣)] فتأمل كيف قدم النبي ﷺ الرحمة على القسوة والسلم

= ٢٧٣١ كتاب الجهاد والسير، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٦٠ حديث رقم: ٣٠٠٩ كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧١ حديث رقم: ٢٤٠٤ كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) الرحمة في حياة الرسول ﷺ لراغب السرجاني ص: ٢٦٦ الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٣) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ٥/٢١٧ حديث رقم: ٩٤٢٤ كتاب الجهاد، باب دعاء العدو تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي- الهند - المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ. وقال الألباني: وإسناده صحيح، ولكنه معضل أو مرسل، وقد وصله الطبراني في =

على الحرب إنها فعلًا أخلاق النبوة الراقية، و"هذا الحديث قاعدة مهمة في دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، فإن استجابوا فبها ونعمت، وإلا فرضت عليهم الجزية، (إن كانوا من أهلها) فإن رفضوا قوتلوا، وعلى هذا جرى النبي ﷺ وأصحابه"[1] تقديمًا للسلم على الحرب، رحمة بمخالفيهم، ورأفة بهم.

٣. ما فعله النبي ﷺ مع المخالفين له من يهود بني النضير، حيث عرض عليهم الإسلام والسلم قبل الحرب والإجلاء، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس، فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»[2].

فتأمل كيف عرض الرسول ﷺ على هؤلاء اليهود السلم قبل الحرب، والأمان قبل الخوف.

٤. وصيته ﷺ لأمرائه وقادة جيوشه من الصحابة، بأن ينتهجوا هذا المنهج مع أعدائهم، وهو تقديم السلم وعرض الإسلام قبل الحرب والقتال، رحمة بهم في الدنيا والآخرة:

فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا

= «الأوسط «من حديث أنس، فقد ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٣٠٥) مختصرًا نحوه، وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال «الصحيح «غير عثمان بن يحيى القرقساني، وهو ثقة «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني ٦/ ٢٩٣ حديث رقم: ٢٦٤١، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٦/ ٢٩٥.

(٢) صحيح البخاري: ٤/ ٩٩ حديث رقم: ٣١٦٧ كتاب الجهاد والسير: باب: باب قول النبي ﷺ لليهود: «أسلموا تسلموا»، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٧حديث رقم ١٧٦٥: كتاب كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز.

على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم يقول: «... وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال[1]- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم...» الحديث»[2] فتدبر كيف كان رسول الله ﷺ يقدم في وصيته لأمرائه وقادتة جيوشه الدعوة إلى السلم وحقن الدماء للحيلولة دون وقوع الحرب وإسالة الدماء، رحمة بمخالفيه، وفي الحديث دليل على: "وجوب تقديم دعاء الكفار إلى الإسلام قبل المقاتلة"[3].

أين هذا مما تقوم به تلك الجماعات والتنظيمات الضالة المضلة أمثال داعش[4] والحوثيين[5] وغيرهما، الذين يشنون الغارات على

(١) «إلى ثلاث خلال»، الخلال: جمع خلة، المراد بها الخصال، وفسّر الثلاث بقوله: «ادعهم إلى الإسلام» إلى آخره، والمراد دعوتهم قبل القتال انظر:: التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير لمحمد الأمير: ٣/ ٤٤، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٥٧ حديث رقم: ١٧٣١ كتاب الجهاد والسير - باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، واللفظ له، سنن الترمذي: ٣/ ٢١٤ حديث رقم: ١٦١٧ كتاب السير عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال وقال حديث حسن صحيح.

(٣) نيل الأطار لمحمد بن علي الشوكاني: ٧/ ٢٧٢، الناشر: دار الحديث، مصر ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٤) داعش هي: اختصار للحروف الأولى من كلمات الدولة الإسلامية في العراق والشام.. ويتم اطلاق صفة الدولة علي التنظيم في المناطق التي تسيطر عليها في سوريا (والعراق).وهو تنظيم مسلح ارهابي يدعي أنه يتبنى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري) ويدعي المنضمون إليه أنه يهدف الى إعادة مايسمونه «الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة «، يتخذ من العراق وسوريا مسرحا لعملياته (وجرائمه).نبت تنظيم «داعش» عبر السجون الأمريكية في العراق، حيث حدث تواطؤ كبير بين إيران ونظام «المالكي» مع أمريكا من أجل إطلاق هذا الوحش الجديد، تشكّل تنظيم «داعش» الارهابي في أبريل عام ٢٠١٣ م، انظر: جريدة أخبار مصر الالكترونية على هذا الرابط: http://www.egnews.net/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%88-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-

(٥) حركة تمرد باطنية تأسست في صعدة شمال اليمن. انشقت عن المذهب الزيدي. تسير على نمط (حزب الله) في لبنان دينيًا وسياسيًا .يعتنقون أفكار وعقائد الرافضة الإثنى عشرية ينتسبون إلى زعيم التمرد الأول حسين بدر الدين الحوثي. يسمون أنفسهم تنظيم «الشباب المؤمن».زعيمهم الروحي: هو بدر الدين بن أمير الدين بن الحسين بن محمد الحوثي ولد في ١٧ جمادى الأولى سنة (١٣٤٥هـ) بمدينة ضحيان، ونشأ في صعدة وقائدهم الأول: هو حسين بدر الدين الحوثي.٠ هو الابن الأكبر لبدر الدين الحوثي. القائد الثاني للحوثيين: هو عبدالملك الحوثي ولد في صعدة عام ١٩٧٩، موقع طريق الإسلام على هذا الرابط http://ar.islamway.net/article/5573/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%88%D9%86

الآمنين بلا سابق إنذار وبلا رحمة ولا هوادة، فأي دين يتبعون، وعلى أي منهج يسيرون وقد خالفوا رسول رب العالمين: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة: ١٩]

المطلب الثاني
رحمته ﷺ في استجابته لتوسلات أعدائه وقبول المفاوضة معهم

من رحمته ﷺ بأعدائه أنه كان يستجيب لتوسلات الأعداء ويحاورهم، ويتفاوض معهم، ففي غزوة بني قريظة لما أصبحوا وأعلن عن نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ توافد رجال الأوس على رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت، وهو أنه وهب بني قينقاع لابن أبي الخزرجي لما ألح عليه في ذلك شافعًا فيهم بوصفهم مواليه أي أحلاف الخزرج، فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: «بلى»، فقال «فذلك إلى سعد بن معاذ» وفي نفس الغزوة لما أعدم النبي ﷺ زولًا على حكم سعد بن معاذ فيهم- كل من أنبت الشعر واحتلم من ذكران بني قريظة، إلا رفاعة، فقد استوهبته سلمى بنت قيس أم المنذر النجارية النبي ﷺ، فقالت: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها، فاستحيَتْه»[1].

(١) القصة بطولها في السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام: ٢/ ٢٣٩- ٢٤٤، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وهذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب لأبي بكر الجزائري: ص: ٢١٧ - ٢٢٠ ط: دار الشروق - جدة، وأصل القصة في صحيح البخاري: ٥/ ١١١ حديث رقم: ٤١٢١، ٤١٢٢، كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.

وعند فتح مكة سمع أبو سفيان سعد بن عبادة يقول اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا! فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال: «يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا!» وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس. قال عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعدا أن يكون منه في قريش صولة. فقال رسول الله ﷺ: اليوم يوم المرحمة! اليوم أعز الله فيه قريشا! قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد"[1].

فتوسل أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ وناشده بالله تعالى وذكر ببعض صفاته وأخلاقه ﷺ بأنه أكثر الناس برًا وأعظمهم رحمة وأوصلهم رحمًا فقبل النبي ﷺ توسلاته ومناشدته ولم يغر على قريش ولم يقاتلهم وما ذلك إلا رحمة بهم وبذويهم ومراعاة لحرمة مكة المكرمة، ورفض قول سعد رضي الله عنه بأن يوم الفتح يوم الملحمة ووصفه ﷺ بيوم المرحمة الذي رحم فيه أهل مكة وعفا عنهم وأطلق سراحهم.

المطلب الثالث
رحمته ﷺ في منع التمثيل بجثث القتلى

لقد كان رسول الله ﷺ يرحم من يقاتله من الأعداء ويحترم تكريم الله له بوصفه إنسانًا فحذر من التنكيل به ومن تشويه خلقته وصورته أو قطع شئ من أعضائه قبل قتله أو بعده مع أنه عدوه وكان يسعى إلى قتله وقتل

(١) القصة بأكملها في المغازي للواقدي: ٢/ ٢٢٠ - ٢٢٥، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، ط٣، ١٤٠٩/١٩٨٩، وأصل القصة في صحيح البخاري: ٥/ ١٤٦، ١٤٧ حديث رقم: ٤٢٨٠ كتاب المغازي - باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟.

أصحابه لكنه القلب الرحيم والخلق الكريم، وقد ورد النهي عن التمثيل بجثث القتلى في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه بريدة بن الحصيب ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا. ثم قال: "اغزوا باسم الله. وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا"(١). «وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، وما يكره، وما يستحب قوله ﷺ"(٢).

وما رواه عبدالله بن يزيد الأنصاري، قال: «نهى النبي ﷺ عن النهبى(٣) والمثلة(٤)..»(٥).

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فيأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة"(٦).

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٥٧ حديث رقم: ١٧٣١ كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث واللفظ له، سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي: ٣/ ٢١٤ حديث رقم: ١٦١٧ كتاب السير عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال وقال حديث حسن صحيح الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ):: ١٢/ ٣٧.، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢.

(٣) النهبى بضم النون وسكون الهاء ثم بالموحدة مقصور أي أخذ مال المسلم قهرًا جهرًا ومنه أخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافًا بغير تسوية، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني:: ٩/ ٦٤٤ الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٤) المثلة هي: «تشويه خلقة القتيل والتنكيل به، يقال: مثلت بالقتيل، إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئا من أطرافه. والاسم: المُثْلَة.. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك محمد ابن الأثير:٤/ ٢٩٤- الناشر: المكتبة علمية - بيروت.

(٥) صحيح البخاري: ٣/ ١٣٥ حديث رقم: ٢٤٧٤كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه.

(٦) مسند الإمام أحمد: ٣٣/ ٢٠٢، حديث رقم: ١٩٩٩٧، وقال المحقق: إسناده صحيح، سنن أبي داود =

وما جاء في هذا الحديث الصريح المتفق عليه الذي حذر فيه النبي ﷺ من ضرب الوجه لشرفه ولما فيه من المثلة، فيقول ﷺ: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه"[1]، «قال العلماء هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها فقد يبطلها ضرب الوجه، وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه والشين فيه فاحش، لأنه بارز ظاهر، لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالبا ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب فليجتنب الوجه»[2].

"وبرغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عمّ الرسول ﷺ فإنه ﷺلم يُغيِّر مبدأه، بل إنه ﷺ هدّد المسلمين تهديداً خطيرًا إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة، رجل قتله نبي، أو قتل نبيا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين[3]». ولم تَرِدْ في تاريخ رسول الله ﷺ حادثةٌ واحدة تقول بأن المسلمين مثّلوا بأَحَدٍ من أعدائهم.[4]"

"وهذه النصوص ظاهرة في النهي عن المثلة، والأصل في النهي التحريم، فلا يجوز التمثيل بالكافر، بل يُكتَفى بقتله المعتاد في المعارك بضربه بالسيف أو طعنه بخنجر أو رميه بحجر أو قذيفة أو نحو ذلك، ولا يزاد على ذلك بقطع بعض أطرافه أو جذع أنفه وما أشبه ذلك[5]".

= لسليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني: ٤/ ٣٠١ حديث رقم: ٢٦٦٧ كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة.، الناشر: دار الرسالة العالمية، وقال المحقق: إسناده حسن.

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١٥١ حديث رقم: ٢٥٥٩ كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، صحيح مسلم: ٤/ ٢٠١٦ حديث رقم: ٢٦١٢ كتاب البر والصلة والآداب -باب النهي عن ضرب الوجه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: ٦/ ١٦٥.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣١٤ حديث رقم: ٣٨٦٧، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٤) أخلاقيات الحروب في الإسلام متاح على هذا الرابط لراغب السرجاني: ttp://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

(٥) شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) لعبدالله قادري الأهدل الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة ص: ٨٧ متاح على هذا الرابط https://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm..

لكن "الملاحظ في حروب الجماعات التي تسمى بالجهادية الإسلامية أنهم يغالون في التمثيل بالجثث بعد القتل بأبشع الطرق، كقطع الرؤوس ووضعها على صدور القتلى، بل اللعب بالرؤوس المقطوعة، وتشويه جثث القتلى بالرصاص، وهذا مخالف للتعاليم النبوية الصريحة التي تؤكد على النهي عن التمثيل بالجثث"(١).

المطلب الرابع
رحمته ﷺ في منع استخدام الوسائل المحرمة في القتل

من منطلق رحمته ﷺ حث على الإحسان في قتل المحارب وغيره ممن يباح قتله، ونهى عن عدم تعذيب المقتول ما دام أنه يمكن قتله دون أن يبالغ في تعذيبه، فقال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"(٢). «والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه، وأسهلها، وأرجاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال،... والقتلة والذبحة بالكسر، أي الهيئة، والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس، التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه... وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق، قال الله تعالى في حق الكفار:

(١) آداب الحرب في الإسلام لأحمد هاشم: متاح على هذا الرابط: http://www.mas rawy.com/Is-lameyat/Makalat-Other/details/2015/2/16/461614.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٤٨ حديث رقم ١٩٥٥، كتاب الصيد والذبائح - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢] وقد قيل: إنه عيَّن الموضع الذي يكون الضرب فيه أسهل على المقتول، وهو فوق العظام ودون الدماغ»[١].

وهناك وسائل تقتل بل وتفتك بالمقتول وتؤلمه ألمًا شديدًا مدة من الزمن حتى يموت تنافي هذا الإحسان ورحمة النبي اقتضت أن يحذر تحذيرًا شديدًا من استخدامها في الحرب وهي القتل بالحرق أو القتل صبرًا[٢].

وفيما يلي بعض مظاهر رحمته ﷺ في النهي عن استخدام الوسائل المحرمة في القتل في أثناء الحرب:

أولًا: رحمته ﷺ في النهي عن استخدام الحرق في القتل:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل العدو حرقًا بالنار رحمة ورأفة به وتخفيفًا من آلامه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث[٣]، فقال: «إن وجدتم فلانًا وفلانًا[٤]، فأحرقوهما بالنار «ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: "إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما"[٥]..» وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»[٦]

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي: ١/ ٣٨٢، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) القتل الصبر هو: أن يحبس الرجل حيًا أو يوثق ثم يستهدف بالسهام أو النبال حتى يقتل قهرًا: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لمحمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني: ٢١/ ١٤٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) وفي رواية «في سرية «: سنن أبي داود: ٤/ ٣٠٧ حديث رقم: ٢٦٧٣ كتاب الجهاد – باب في كراهية حرق العدو بالنار.

(٤) هما هبار بن الأسود وأبو العاص بن الربيع: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٦/ ١٤٩، ١٥٠ الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٥) صحيح البخاري: ٤/ ٦١ حديث رقم: ٣٠١٦ كتاب الجهاد والسير – باب لا يعذب بعذاب الله، سنن الترمذي: ٣/ ١٨٩، حديث رقم: ١٥٧١ أبواب الأضاحي عن رسول الله ﷺ وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) صحيح البخاري: ٤/ ٦٢ حديث رقم: ٣٠١٧ كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله.

فتأمل هذا الحديث الذي أمر فيه النبي ﷺ بقتل هذين الرجلين حرقًا بعد ذلك رق قلبه ﷺ عليه عليهما فنهى عن حرقهما.

أين هذه الرحمة من تلك الجرائم البشعة التي يقوم أعداء الإسلام ضد المسلمين من التحريق والإبادة الجماعية والتفجيرات الحارقة والأسلحة الفتاكة التي يمارسونها ضد المسلمين الأبرياء العزل الذين لا حول لهم ولا قوة مثل ما يحدث في بورما وما حدث ويحدث في غيرها ولم يجرؤ أحد من الغرب الذين يدعون كذبًا: أنهم يحافظون على حقوق الإنسان[1] على وصفهم بالإرهاب مع أنه هو الإرهاب بشحمه ولحمه.

ثم أين هذا مما يفعله بعض من يتنمون إلى الإسلام كأولئك الذين يقتلون شعوبهم بالمتفجرات أو ببراميل البترول الحارقة، ثم أين هذا مما يفعله بعض المحسوبين على الإسلام من تفجير للمساجد وحرق للأبرياء من المسلمين، لأنهم يعدونهم كفرة ويفتون بحل ذلك أمثال داعش وغيرها[2] ولم يقتدوا برسول الله ﷺ في رحمته ورأفته ورفقه سلمًا وحربًا وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١]، بل نزعت من قلوبهم الرحمة وزاغت أبصارهم وعميت بصائرهم وضلت عقولهم حتى صاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا وحسبي الله ونعم الوكيل.

ثانيًا: رحمته ﷺ في التحذير من القتل صبرًا:

لقد حذر النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا ونهى نهيًا أكيدًا عن قتل العدو صبرًا أي عن طريق حبسه أو توثيقه بالوثاق واستهدافه بالسلاح لأن هذه

(١) لعلهم يقصدون بالإنسان غير المسلم، كما هو ملاحظ من خلال إدانتهم للصغائر من الجرائم قبل الكبائر إذا ارتكبت ضد أحد من غير المسلمين، وصم بكم عمي عن جرائم الإبادة التي ترتكب ضد المسلمين في معظم البلاد.

(٢) انظر: جريدة الوطن الإلكترونية بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٣م على هذا الرابط http://www.elwatannews.com/news/details/654891

أعمال ينافي الرحمة والإحسان في القتل، لما فيه من تعذيب للمقتول وقهر له وزيادة تحسره لفقدانه الأمل في النجاة حيث إنه يرى موته بعينيه ولا يستطيع الفرار:

فعن عبيد بن يعلي قال: غزونا مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فأتى بأربعة أعلاج[1] من العدو فأمر بهم فقتلوا صبرا بالنبل فبلغ ذلك أبا أيوب الأنصاري ﷺ فقال: «سمعت رسول ينهى عن قتل الصبر فو الذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها فبلغ ذلك عبدالرحمن الله فأعتق أربع رقاب»[2].

وعن عبدالله بن مطيع، عن أبيه، قال: « سمعت النبي ﷺ، يقول يوم فتح مكة: «لا يقتل قرشي صبرًا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة»[3] أي لا تقتلوا قرشيًا صبرًا لأن: «النفي -في الحديث- بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النفي»[4].

فهل يعقل بعد هذا التحذير من القتل صبرًا أن تأتي تنظيم أمثال داعش محسوب على المسلمين برجل مسلم وتحبسه في قفص من حديد، وتشعل فيه النيران، حتى الموت، ويفتون بحل ذلك[5] من هم هؤلاء؟ وإلى أي دين ينتمون؟ وبمن يقتدون؟ إنهم قد أساؤوا إلى الإسلام أيما إساءة، وشوهوا صورته وهو الذي جاء بالسلام والأمان والرفق والرحمة والإحسان، حتى بالأعداء وليس بأبناء الدين فقط.

(١) أعلاج: جمع علج وهو: الرجل من كفار العجم وغيرهم. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣/ ٢٨٧.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣٨/ ٥٦١ حديث رقم: ٢٣٥٩٠، سنن أبي داود: ٣٢٣ حديث رقم: ٢٦٨٧باب في قتل الأسير بالنبل، وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): صحيح لغيره.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٠٩ حديث رقم: ١٧٨٢ كتاب الجهاد والسير - باب لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الطيبي:١٢/ ٣٨٣٧، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض).

(٥) انظر: جريدة الوطن الإلكترونية بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٣م على هذا الرابط http://www.elwatannews.com/news/details/654891

المطلب الخامس
رحمته ﷺ في تأمين مصابي الحرب والفارين منها والمستسلمين

عندما كانت تدور رحى الحرب بين المسلمين والأعداء المخالفين في عهد الرسول الأمين ﷺ وعلى الرسل أجمعين كان يصاب أحيانًا بجروح بعض الأعداء المحاربين وقد يفر البعض خوفًا من أن يكون من الهالكين، وقد يصبح البعض الآخر من المستسلمين لعدم رغبته في الاستمرار في حرب المؤمنين، أو لانهزامه أمام جنود الله المقاتلين فهل كان النبي ﷺ يستغل هذه الظروف، التي يتعرض لها هؤلاء الأعداء المجرمين مع ما فيها من مظاهر ضعف وذلة ومهانة لهؤلاء الكافرين فيأمر بقتلهم أجمعين؟ بالطبع لا، وهو الذي أُرسل رحمة للعالمين، بل كان ﷺ ينهى عن قتلهم فيصبحوا من الآمنين، لأن رحمته ﷺ تأبى استغلال ظروف المصابين ورأفته تقتضي ألا يجهز على الفارين، أو يحارب المستسلمين، ولا يقاتل عدوه إلا إذا كان من المقاتلين، وكانوا في موطن قوة، وليسوا من الضعفاء المستكينين أو عن الحرب غافلين، والأصل في هذا الباب ما رواه أبو سفيان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح المبين: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[1] وزاد أبو داود بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد»[2] وقد استدل العلماء بهذا الحديث «على عدم جواز مقاتلة البغاة إذا كانوا في بيوتهم، أو طلبوا منا الأمان لأنهم إذا أغلقوا على أنفسهم فليسوا ببغاة في ذلك الوقت، واتصافهم بذلك الوصف شرط جواز مقاتلتهم، كما في الآية، وإذا طلبوا الأمان، فقد فاءوا إلى أمر الله تعالى، وهي الغاية التي أذن الله بالقتال إلى حصولها وقد حصلت»[3]. ويدل

(١) صحيح مسلم: ١٤٠٧/٣ حديث رقم: ١٧٨٠ كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة.
(٢) سنن أبي داود: ٦٣٤/٤ حديث رقم: ٣٠٢٢ وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): صحيح لغيره.
(٣) نيل الأوطار للشوكاني: ٢٠١/٧.

أيضًا: «على أنه لا يجهز على جريحهم بل يترك على ما هو عليه إلا إذا كان المدبر أو الجريح ممن له فئة جاز قتله»[١].

والأصل في هذا الباب -أيضًا- ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن حصين أن رسول الله ﷺ: قال يوم فتح مكة: «ألا لا يقتل مدبرًا، ولا يجهز على جريح[٢] ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن»[٣].

وقد أَمَّن رسول الله ﷺ أهل مكة عندما أكرمه الله ﷻ بالفتح المبين وأطلق سراحهم لما جاءوا إليه مستسلمين وعفا عنهم ورحمهم ولم يعاملهم بالمثل أجمعين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما فتح مكة: «يا معشر قريش، ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول، قالوا مثل ذلك، قال: "فإني أقول كما قال أخي ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٩٢]، فخرجوا فبايعوه على الإسلام"[٤].

يقول المستشرق الأمريكي واشنجتون إيرقنج مادحًا موقف النبي ﷺ من أهل مكة بعد فتحه لها: "كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو"[٥] والفضل ما شهدت به الأعداء.

(١) المرجع السابق.
(٢) أي لا يقتل جريح: يقال أجهز على الجريح يجهز، إذا أسرع قتله، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٢٢.
(٣) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٩٨/٦ حديث رقم: ٣٣٢٧٦، وأورد مثله ابن حجر عن علي رضي الله عنه موقوفًا، وعزاه لابن أبي شيبة وصحح إسناده: فتح الباري: ٥٧/١٣.
(٤) السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي: ١٥٤/١٠ حديث رقم: ١١٢٣٤ كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الأسراء:٨١]، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
(٥) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل: ص: ٩٤ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

المبحث الثاني
رحمته ﷺ في حماية المستكرهين على الحرب والمستأمنين

قد يُكَره بعض الأعداء على قتال المسلمين أو يطلب بعضهم الأمن والأمان وهؤلاء وهؤلاء عمتهم رحمة النبي ﷺ فنهى عن قتل المكره على الحرب، وأمن المستأمن على نفسه وماله وعرضه، كما سيتضح في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
رحمته ﷺ في حماية المستكرهين على الحرب

المستكرهون هم الذين لا رغبة لهم في الحرب وإنما خرجوا إليها عنوة وإكراها وهؤلاء -أيضًا- وسعتهم رحمة النبي ﷺ فحرص على حياتهم ونهى عن قتلهم: "من ذلك ما فعله رسول الله ﷺ في غزوة بدر حيث نهى عن قتل من خرج مستكرهًا من المشركين برغم أن ذلك في ميدان القتال والحرب والمتعارف عليه عند جميع البشر أن من يقاتلك تقاتله ولكن الرسول ﷺ كان يأخذ بروح القاعدة وليس بنصها لذا فهو يأسر المستكره لكي يجتنب مقاتلته ويجنبه القتال أيضًا لكن لا يقتله إلا إذا أصر على

القتال"[1] فقد روى عبدالله ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر "إني قد عرفت أن رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرهًا"[2] فهل هناك رحمة أعظم من هذه؟ كيف لا وهو الرؤوف الرحيم الذي فاقت رحمته رحمة بني البشر.

المطلب الثاني
رحمته ﷺ في حماية المستأمنين

المستأمنون جمع مستأمن، وهو «مَنْ قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو مستجيرًا، أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا أُعطي أمانا ما دام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، ويعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يُعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان»[3]، ولقد شملت رحمة النبي ﷺ هؤلاء المستأمنين وعمتهم رأفته فأمَّن من طلب الأمان منهم على

(١) راغب السرجاني: الرحمة في حياة الرسول ﷺ ص: ٢٩٠.
(٢) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي: ٢/ ٤٣٦ تحقيق: مصطفى عبدالواحد - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، وأخرجه مختصرًا الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٢٤٠ حديث رقم: ٤٩٨٨.
(٣) مجموع الفتاوى، لأحمد ابن تيمية: ٢٨/ ٣٧٨، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ١٠٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، أحكام أهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: ٢/ ٨٧٤، الناشر: رمادى للنشر، الدمام.

نفسه وماله وأجار من استجاره ﷺ كما أمره ربه ﷻ في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦] وقد دلت الآية على «أن المستأمن لا يؤذى، بل يجب على المسلمين حمايته في نفسه وماله وعرضه ما دام في دار الإسلام.»[١] وهذا ما طبقه النبي ﷺ قولًا وفعلًا كما سيتضح فيما يلي مظاهر رحمته ﷺ بالمستأمنين:

من مظاهر رحمته ﷺ بالمستأمنين ما يلي:

١. إعلان النبي ﷺ براءته ممن يقتل المستأمن أو يغدر به وترهيب المسلمين من ذلك فقال: «أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافرًا»[٢]، وزاد الأمر ترهيبًا وتحذيرًا فقال ﷺ: «مَنْ أَمَّنَ رجلا على دمه، فقتله، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة»[٣].

٢. تأمينه ﷺ لرسل قريش يوم الحديبية قال ابن كثير: "كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدًا أو في رسالة كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم، واحدًا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي: ٦/ ٢١٠ - ٢١١ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد ترتيب: الأمير علاء الدين علي الفارسي: ١٣/ ٣٢٠ حديث رقم ٥٩٨٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٣) سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد المعروف بابن ماجة:٣/ ٦٩٣ حديث رقم: ٢٦٨٨ أبواب الديات، بَاب مَنْ أَمِنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ تحقيق: شعيب الأرناؤوط - الناشر: دار الرسالة العالمية، وقال المحقق: إسناده صحيح.

قيصر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم"[1].

٣. تأمينه ﷺ لرسولي مسيلمة الكذاب على أنفسهما مع أنهم كافرون به مؤمنون بمسيلمة الكذاب، مدعي النبوة فعن عبدالله بن مسعود، قال: "جاء ابن النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ، فقال لهما: " أتشهدان أني رسول الله؟"، قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله. فقال النبي ﷺ: " آمنت بالله ورسله، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما «قال عبدالله: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل»[2].

٤. إجارته ﷺ من أجاره بعض المسلمين، وتأمينه على نفسه وماله وعرضه، وإسماعه لكلام الله تعالى، فقد أجار الله ﷺ رجلًا كانت قد أجارته أم هانئ بنت أبي طالب يوم فتح مكة فجاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت له بعد أن سلمت عليه: «يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»[3].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ١٠٠، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٣١١ - ٣١٤.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣٠٦ حديث رقم: ٣٧٦١ وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): حديث صحيح.
(٣) صحيح البخاري: ١/ ٨٠، ٨١ حديث رقم: ٣٥٧ كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به، صحيح مسلم: ١/ ٤٩٨ حديث رقم: ٣٣٦ ب كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى.

المبحث الثالث
رحمته ﷺ في حماية المدنيين في أثناء الحرب

المدنيون هم الذين لا رغبة لهم في الحرب من كبار السن والنساء والأطفال والعباد أصحاب الصوامع والعلماء المنقطعين للعلم والعمال المستأجرين وغيرهم وتظهر رحمة رسول الله ﷺ بهم في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
رحمته ﷺ بالمدنيين في عدم الإغارة على العدو ليلًا حتى لا يروعهم

من رحمته ﷺ بأعدائه أنه كان لا يطاردهم ولا يهاجمهم ليلًا حتى لا يروع مرضاهم وأطفالهم ونساءهم وكبار السن منهم وغيرهم من المدنيين، وحتى لا يأخذهم على حين غفلة من أمرهم وكان هذا ديدنه ﷺ مع أعدائه في الحروب، ونلاحظ أنه يفعل معهم هذا وهم أعداؤه الذين لو ظفروا به أو بأصحابه رضي الله عنهم لقضوا عليهم جميعًا، حقًا إنها أخلاق النبوة ورحمة الرسالة، فعن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ خرج إلى خيبر، فجاءها ليلًا، وكان إذا جاء قوما بليل لا يغير عليهم حتى يصبح، فلما أصبح

خرجت يهود بمساحيهم[1] ومكاتلهم[2]، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس[3]، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات:١٧٧][4]. «وفي هذا الحديث فوائد كثيرة: منها: أن النبي ﷺ كان لا يغير على العدو، والإغارة: تبيت العدو ليلًا ومنها -وهو المقصود بهذا الباب أنه ﷺ- كان يجعل الأذان فرق ما بين دار الكفر ودار الإسلام، فإن سمع مؤذنًا للدار كف عن دمائهم وأموالهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم بعد ما يصبح.»[5] وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك -أيضًا- قال: «كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرة» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار»[6].

تأمل هذا وقارن بينه وبين ما يفعله أولئك الإسرائيليون بأهل فلسطين من شن هجمات عليهم بالطائرات والصواريخ في ظلمات الليل وهم نائمون، فتُزهَق الأرواح، وتُقطع الأجساد إربًا إربًا، ويُدمر الأخضر واليابس، وتُهدم البيوت على من فيها بلا رحمة ولا رأفة، إنها القسوة التي وصف الله قلوبهم بها في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

(١) بمساحيهم: بسكون الياء جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد، والميم مكسورة، انظر: فتح الباري لابن حجر:: ١/ ١٣٠.

(٢) المكاتل: وهي الزبيل والقفاف، وهي من آلات الحراث، فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب: ٥/ ٢٣٢، مكتبة الغرباء - المدينة النبوية

(٣) الخميس: هو الجيش، وسمي الجيش خميسًا؛ لأنه ينقسم خمس أجزاء: مقدمة، وساقة، وميمنة، وميسرة، وقلب.المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢٠/ ٣٩١ حديث رقم: ١٣١٤٠، صحيح البخاري: ٤/ ٤٨حديث رقم: ٢٩٤٥- كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، واللفظ له.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب: ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣ بتصرف.

(٦) صحيح مسلم: ١/ ٢٨٨ حديث رقم: ٣٨٢، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر، إذا سمع فيهم الأذان.

وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة:٧٤]. يفعلون كل هذا، ثم يصفون الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وهم الذين ابتدعوا هذه البدعة، واستخدموها مع رسول الإسلام ﷺ ومع المسلمين منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، فهم الذين حاولوا قتل رسول الله ﷺ أكثر من مرة وحاربوا المسلمين حروبًا عسكرية مباشرة أو بمظاهرة أعدائهم عليهم في الحرب ثم أيضًا قارن بين موقف رسول الله ﷺ مع أعدائه في عدم الإغارة عليهم ليلًا وهم نائمون ساكنون آمنون مطمئنون هم وأهلوهم وبين أولئك المتأسلمين الذين يحملون السلاح ليل نهار، يُقتِّلون ويُذَبِّحون ويغتصبون النساء في وضح النهار، وفي ظلمة الليل، بحجة إقامة دولة إسلامية، والدفاع عن الإسلام، والإسلام منهم برئ أو رغبة في نشر فكر معين أو مذهب معين، ما أنزل الله به من سلطان: ستجد البون بينهم بعيدًا والفرق شاسعًا فشتان بين من أمده الله برحمة من عنده وأرسله رحمة للعالمين ووهبه اسمين من أسمائه " الرؤوف الرحيم " وبين قست قلوبهم حتى فاقت الصخور في قسواتها.

المطلب الثاني
رحمته ﷺ في التحذير قتل المدنيين في الحرب

إن قلب النبي ﷺ الرحيم رحم المدنيين من الأعداء في الحرب ككبار السن والنساء والصبيان والعباد أصحاب الصوامع الذين حبسوا أنفسهم عن الناس، وانقطعوا عنهم، وأَمِن المسلمون من ناحيتهم، وكذا الأجير المستأجر عند أهل الحرب للعمل والعبيد، الذين لا يشاركون في الحرب ضد المسلمين، وغيرهم ممن لا حول لهم ولا قوة، أو ممن لا رغبة لهم

في القتال أو الإعانة عليه قولًا أو فعلًا، فأَبَى النبي قتالهم وقتلهم ما لم يقاتلوا أو يشاركوا في تجهيز الجيش أو يظاهروا على حرب المسلمين، متبعًا قول الله ﷻ، وهو الأصل في هذا الباب: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة:١٩٠]. والأصل في هذا الباب من السنة ما رواه أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال محذرًا من قتل المدنيين: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥][(١)].

وما رواه ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيوشه قال: "اخَرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله، من كفر بالله، لاَ تَغْدِروا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا الوِلْدَان، ولا أصحابَ الصَّوامع"[(٢)].

وما رواه حنظلة الكاتب ﷺ أن رسول الله ﷺ أرسل رجلا إلى خالد بن الوليد ﷺ في إحدى الغزوات فقال له: «انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن لا تقتل ذرية ولا عسيفًا[(٣)]..»[(٤)].

أرأيتم كيف كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على أرواح المدنيين الأبرياء من الأعداء المخالفين له في الدين في أثناء الحرب، لذا لم يكن في حروبه ﷺ ضحايا مدنيين، إلا ما ندر، وبدون علم رسول الله ﷺ،

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٢٥٦ كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن لغيره.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣/ ٢١٨ حديث رقم: ٢٧٢٨ وقال المحقق: إسناده حسن، المصنف لابن أبي شيبة: ٦/ ٤٨٤ حديث رقم: ٣٣١٣٢، مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المُثنى، الموصلي: ٥/ ٥٩ حديث رقم: ٢٦٥٠، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، وقال المحقق إسناده صحيح.

(٣) العسيف هو: الأجير والعبد المستهان به انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر لأبي القاسم جار الله الزمخشري: ٢/ ٥٢٣ الناشر: دار المعرفة – لبنان

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢٩/ ١٥١ حديث رقم: ١٧٦١٠ وقال المحقق: (شعيب الأرناؤوط): صحيح لغيره.

وإذا علم بذلك أنكره فعندما رأى ضحية مدنية غضب غضبًا شديدًا وأنكر على الصحابة هذا الفعل الذي لا يتفق مع الرحمة والرفق، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان"(١)، وفي رواية «فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»(٢)، وقد «أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون، وأما شيوخ الكفار فإن كان فيهم رأي قتلوا»(٣).

و في غزوة حنين عندما علم رسول الله ﷺ أن الصحابة قد بالغوا في القتل حتى قتلوا الصبيان، غضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وعن ارتكاب مثل هذا الفعل مرة أخرى، فعن الأسود بن سريع، قال: أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبت ظهرًا، فقتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان -وقال مرة: الذرية-، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم، حتى قتلوا الذرية " فقال رجل: يا رسول الله، إنما هم أولاد المشركين، فقال: " ألا إن خياركم أبناء المشركين " ثم قال: " ألا، لا تقتلوا ذرية، ألا، لا تقتلوا ذرية " قال: " كل نسمة تولد على الفطرة، حتى يعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها"(٤).

هذه هي رحمة النبي ﷺ وهي رحمة وسعت جميع المدنيين في الحرب، وليت أعداء الإسلام عاملوا المسلمين في الحروب بمثل ما عامل به النبي

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٦١ حديث رقم: ٣٠١٤ كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٦٤ حديث رقم: ١٧٤٤ كتاب الجهاد والسير - باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٦٤ حديث رقم:١٧٤٤ كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: ٢/ ٤٨.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢٤/ ٣٥٧ حديث رقم: ١٥٥٩٠ وقال المحقق: رجاله ثقات، رجال الشيخين، لكن سماع الحسن من الأسود لا يثبت عند بعضهم

ﷺ أسلافهم – من حماية للمدنيين، والحفاظ على أرواحهم، وحقن دمائهم، ولكن نجدهم منذ بزوغ شمس الإسلام وسطوع نوره إلى يومنا هذا لا يألون جهدًا في أذى المدنيين الضعفاء الذين لا حول لهم لا قوة، بداية من تعذيب المسلمين الضعفاء نساءً ورجالًا إلى قتلهم لسمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهما[1] وما فعلوه في جميع الحروب التي شنوها ظلمًا وعداونًا على بلاد المسلمين من إزهاق لأرواح المدنيين، والاعتداء عليهم، إلى ما يفعلونه في هذا العصر فتراهم يلقون القذاف بالطائرات ويلقون الصواريخ على مدارس أطفال، فيقتلون الكثير منهم بلا رحمة ولا هوادة، وعلى البيوت، فيقتلون من فيها من الشيوخ والنساء والصبيان بلا ذنب ولا جريرة، غير أنهم مسلمون.

(١) انظر: قصة قتلها عند ابن أبي شيبة في المصنف: ٧/ ١٢ أثر رقم: ٣٣٨٦٩.

المبحث الرابع
رحمته ﷺ في حماية البيئة في أثناء الحرب

وفيه مطلبان وهما:

المطلب الأول
تعريف البيئة

١. تعريف البيئة في اللغة: البيئة لغة (هي منزل القوم في كل موضع يقال: تبوَّأْتُ منزلًا: أي نزلتُه، وبوَّأت للرجل منزلًا وبوّأته منزلًا بمعنى، أي هيَّأته ومكَّنت له فيه. واستباءه، أي اتخذه مباءة، وبوأتهُ منزلًا، إذا أسكنتهُ إياه)[1].

٢. تعريف البِيئة في الاصطلاح: البيئة في اصطلاح العلماء كلمةٌ جامِعَةٌ تشمل جميع مناحِي الحياة، وقد تتَّسع البيئة لِتَشْملَ الأرض التي تقلُّنا، والسَّماء التي تظلُّنا، وقد تضيق لِتَخُص بيت الإنسان، وموقع عمله، وسُكناه، وهي باختصارٍ: «كلُّ شيءٍ يحيطُ بالإنسان، مِن مَوْجُودات، من ماء، وهواءٍ، وكائناتٍ حَيَّةٍ، وجمادات، وهيَ المجالُ

(١) مجمل اللغة لأحمد بن زكريا المعروف بابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ):: ١/ ١٣٨ تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري: ١/ ٣٧ تحقيق: أحمد عبدالغفور - الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.

الطَّبيعي الذي يُمارِس فيه الإنسانُ حياته، ونشاطاته المختلفة؛ لِيُحَوِّلها إلى بيئةٍ مشيدة»[1].

المطلب الثاني
مظاهر رحمة النبي ﷺ
في حماية بيئة الأعداء عند الحرب

تتمثل حماية الرسول ﷺ للبيئة عند نشوب الحرب فيما يلي:

مظاهر رحمة النبي ﷺ في حماية البيئة في أثناء الحرب:

أولًا: رحمته ﷺ في التحذير العام من الإفساد في الأرض في أثناء الحرب حفاظا على بيئة الأعداء:

لقد ورد عن رسول الله ﷺ الترهيب والتحذير من الإفساد في الأرض في أثناء الحرب حماية للبيئة ومكوناتها ورحمة بالأعداء، حتى تبقى مقومات حياتهم من ماء وزروع ونباتات وحيوانات تنمو وتزداد، ويستغلونها في حياتهم المعيشية فلا يموتون جوعًا أو عطشًا:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بكفاف...»[2].

(١) موقف الإسلام من العبث البيئي، لمولاي المصطفى البرجاوي: مقال على هذا الرابط: K http:// www.alukah.net/culture/0/36923/#ixzz3giX49Wei، " وانظر: رعاية البيئة في شريعة الإسلام ليوسف القرضاوي " ص: ٣٠ الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط: دار الشروق.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٢/ ٩٤ حديث رقم: ٢٤٣٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

وهذا الترهيب والتحذير من إفساد البيئة في أثناء الحرب جزء من النهي العام عن الإفساد في الأرض، وتخريب البيئة السليمة، الذي نص عليه الله ﷻ في كثير من آيات القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٧].

ثانيًا: رحمته ﷺ في النهي عن إفساد الماء:

إن الماء عنصر مهم من عناصر البيئة وله أهمية كبيرة بالنسبة للبشر، إذ أنه شريان الحياة، ولما له من أهمية للناس بما فيهم الأعداء، فقد نهى النبي ﷺ عن إتلاف هذا العنصر، رحمة بالأعداء وبنسائهم وأطفالهم وشيوخهم ودوابهم، فإنه إذا أُتلف بأي وسيلة هلكوا جميعًا، وليس هذا هو هدف الرسول ﷺ من الغزو والحرب، وإنما هدفه ﷺ كان الهداية أولًا ثم قتال من قاتله بلا غدر ولا خديعة، ولا على حين غفلة من أمرهم وفغايته ﷺ الإصلاح وليس الإفساد، لذا نجده ﷺ يحذر تحذيرًا شديدًا وينهى نهيًا أكيدًا عن إفساد الماء على الأعداء بإلقاء السم فيه فقد روي عن سمرة بن جندب، أن النبي ﷺ «نهى أن يلقى السم في آبار المشركين»[1]. وكان دائمًا يحذر ﷺ جيوشه وسرياه من تغوير أعين الماء في باطن الأرض رحمة بالأعداء، وحماية لهذا العنصر المهم من عناصر البيئة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان نبي الله ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين قال: "انطلقوا باسم الله"، فذكر الحديث، وفيه: "ولا تقتلوا وليدًا طفلًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا تغورن عينًا..." الحديث[2].

(١) سبق تخريجه.

(٢) السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ):: ٩/ ١٥٤ حديث رقم: =

ثالثًا: رحمته ﷺ في النهي عن قطع الأشجار وهدم البيوت وذبح الحيوانات، بلا وجه حق:

إن من مكونات البيئة الزروع والنباتات والأشجار والدواب والدور، وهذه الأشياء نعم أنعم الله تعالى بها على بني البشر، ولا غنى لهم عنها وإتلافها يلحق أضرارًا كثيرة بهم، لذا نجد رسول الله ﷺ ينهى عن التعدي على هذه المقومات، حتى ولو كانت على أرض العدو حماية لها ورحمة بالأعداء ورأفة بهم، فعن عبدالله بن حبشي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار»[1] سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث، فقال: «هذا الحديث مختصر، يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل، والبهائم عبثًا، وظلمًا بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار»[2] وهذا نهي عام ولم يخصص النبي ﷺ هذا النهي بأرضنا أو بأرض العدو في السلم أو في الحرب.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: كان نبي الله ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين قال: "انطلقوا باسم الله"، فذكر الحديث، وفيه: "ولا تقتلوا وليدًا طفلًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا تغورن عينًا، ولا تعقرن شجرة إلا شجرًا يمنعكم قتالًا أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تمثلوا بآدمي ولا بهيمة، ولا تغدروا، ولا تغلوا"[3]. فينهى النبي ﷺ في هذا الحديث عن التعدي على الأشجار إلا للضرورة حماية لبيئة الأعداء وحفاظًا على مكوناتها.

= ١٧٧٠١ كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما المحقق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، أخرجه بإسناده، ثم قال: في هذا الإسناد إرسال وضعف، وهو بشواهده مع ما فيه من الآثار يقوى، والله أعلم.

(١) سنن أبي داود: ٥٢٣/٧ كتاب الأدب - باب في قطع السدر وقال الألباني: الحديث صحيح بما له من الشواهد، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ١٧٣/٢ حديث رقم: ٦١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سبق تخريجه.

ومن الأحاديث التي حذر فيها رسول الله ﷺ من التعدي على مكونات البيئة ما رواه ثوبان مولى رسول الله، ﷺ أنه سمع رسول الله، ﷺ يقول: "من قتل صغيرًا أو كبيرًا أو أحرق نخلًا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لأهلها لم يرجع كفافًا"(١).

وعن القاسم مولى عبدالرحمن أنه قال: استأذن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في الغزو فأذن له فقال: «إن لقيت فلا تجبن، وإن قدرت فلا تغلل، ولا تحرقن نخلًا، ولا تعقرها، ولا تقطع شجرة مطعمة، ولا تقتل بهيمة ليست لك فيها حاجة، واتق أذى المؤمن»(٢).

و هذه الوصايا والتحذيرات: «تُعَدُّ دُسْتُورًا لآداب الجهاد في الإسلام، واشْتَمَلَتْ على تشريعاتٍ لِلْحِفاظ على البيئة، حتى في الأوقات الحَرِجَة، بالله عليكم: هل تستحضر دولة الكِيان الصِّهْيَوْنِي مثل هذه القَوَاعد والمَبَادئ في اغْتِصاب أرضِ المُسْلِمينَ، وانْتِهاك أَعْرَاضهم، أَلَم تقتل الأطفال الرُّضَّع، والشيوخ الرُّكَّع»؟(٣).

من خلال ما سبق ندرك أن حروب النبي ﷺ لم تكن أبدًا "حروب تخريبٍ كالحروب المعاصرة، التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان النبي ﷺ والمسلمون يحرصون أشدّ الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم"(٤).

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٧/ ٥٢ حديث رقم: ٢٢٣٦٨. وقال المحقق: إسناده ضعيف. وأقول: هذا الحديث وإن كان سنده ضعيفًا إلا أن الحديث السابق الذي رواه البيهقي في السنن الكبرى يقويه.

(٢) سنن سعيد بن منصور: ٢/ ١٨٣ حديث رقم: ٢٣٨٤ – كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا، الناشر: الدار السلفية – الهند.

(٣) موقف الإسلام من العبث البيئي لمولاي المصطفى البرجاوي مقال على هذا الرابط: K http://www.alu-kah.net/culture/0/36923/#ixzz3giX49Wei، وانظر: رعاية البيئة في شريعة الإسلام للقرضاوي ص: ٣٠

(٤) أخلاقيات الحروب في الإسلام راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: ttp://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

رابعًا: رحمته ﷺ في الأمر بدفن قتلى الحرب حفاظًا على البيئة:

حفاظًا على البيئة من التلوث وخوفًا من انتشار الوباء والأمراض التي تنتج عن بقاء القتلى في العراء ومراعاة لتكريم الله تعالى لبني آدم أحياءً وأمواتًا، كان النبي ﷺ يحرص على دفن شهداء الحرب من المسلمين والقتلى من المشركين، ففي غزوة بدر دفن رسول الله ﷺ الشهداء ثم دفن قتلى المشركين ببئر ببدر، ثم وقف يخاطبهم، ويسألهم عن وعيد الله تعالى لهم فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ قام على القليب، وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال: «إنهم ليسمعون ما أقول» إنما قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق»[1].

ولهذا السبب أيضًا نهى رسول ﷺ عن التمثيل بجثث القتلى من الأعداء وتركهم في العراء، حتى لا يصيروا جيفة تفوح رائحتهم، فكان ﷺ مما يوصي به سراياه: "ولا تمثلوا"[2].

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٧٧ حديث رقم: ٣٩٧٨ كتاب المغازي - باب قتل أبي جهل، صحيح مسلم: ٢/ ٦٤٣ كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) سبق تخريجه.

المبحث الخامس
رحمته ﷺ بأسرى الحرب من المخالفين له في الدين

ويشتمل على خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول
المراد بالأسرى وموقف القرآن الكريم منهم

١. المراد بالأسرى:

«الأسرى هم المقاتلون من الكفار، إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء»[(١)] سواء أكان ذلك في أثناء نشوب الحرب أو بعد انتهائها.

٢. موقف القرآن الكريم منهم:

لقد بيَّن الله تعالى في كتابة العزيز ثلاثة أوجه في شأن الأسرى:

الأول: التلطف معهم وترغيبهم في الإسلام. وقد جاء هذا الوجه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ

(١) الأحكام السلطانية لعلي بن محمد أبي الحسن الماوردي ص: ٢٠٧- الناشر: دار الحديث - القاهرة.

رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠] والذى يؤخذ من الأسرى هو حريتهم بوقوعهم في الأسر، وحرمانهم العودة إلى أهليهم. ومغفرة الله لهم لا تكون إلا بعد إسلامهم وصلاح عقيدتهم، واستقامتهم على صراط الله المستقيم.

والوجه الثاني: هو إطلاق سراحهم مجانًا بشرط ألا تخشى منهم خطرًا في المستقبل، وهذا يرجع إلى إمام المسلمين.

أما الوجه الثالث: فهو أخذ الفدية منهم شخصيًا أو من دولتهم. وتقدر الفدية حسب ما يراه ولى أمر المسلمين، شريطة ألا يكون فيها إجحاف أو تعجيز للأسير عن دفعها، وهذان الوجهان وردا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ [محمد:٤].

هذا ما ورد في القرآن الكريم، وقد أضاف الفقهاء وجهين آخرين هما: الاسترقاق، أي بقاؤهم في الأسر مملوكين لمن أسرهم ملك يمين، والقتل، إذا خشى منهم الضرر في المستقبل على المسلمين.

أما النساء فلا يجوز قتلهن ولا قتل الذراري الصغار، ويكون التصرف معهم إما بالعفو مجانًا، أو أخذ الفدية، أو البقاء في الاسترقاق[1]. هذا هو موقف القرآن الكريم من الأسرى، والنبي ﷺ كان خير منفذ للأوامر القرآنية، ومتبع للتعاليم الربانية، يتضح هذا من خلال المطالب التالية، التي نقف فيها على مظاهر رحمته ﷺ بأسرى الحرب.

(١) معاملة الأسرى في الإسلام لعبد العظيم المطعني متاح على هذا الرابط http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=242047

المطلب الثاني
رحمة النبي ﷺ بالأسرى في دعوتهم إلى الإسلام

كان رسول الله ﷺ إذا وقع الأسرى في قبضته، لا يتركهم في غيهم يعمهون، وفي ضلالاهم يترددون، بل كان يتعهدهم ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام رجالاً ونساءً، بلا إكراه، كما أمره الله ﷻ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن الضلال إلى الهدى، رحمة بهم في الدنيا والآخرة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١. أن النبي ﷺ في غزوة بني قريظة قبل قسمة السبايا اصطفى ﷺ ريحانة من بني عمرو بن قريظة،وعرض عليها الزواج بها ويضرب عليها الحجاب فأبت، وقالت: يا رسول الله.. أتركني في ملكك فهو أحق عليَّ وعليك» فتركها، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية ؛ فعزلها ووجد في نفسه ذلك من أمرها... فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة يبشرني بإسلام ريحانة»، فجاء فقال: «يا رسول الله قد أسلمت ريحانة »، فسره ذلك من أمرها فكانت عنده ﷺ حتى توفي وهي في ملكه رضي الله عنها[1] «فلم يأمرها النبي ﷺ بالزواج به، بل عرض عليها، ولم يُجبرها على الزواج بعد رفضها، برغم أنها أسيرة، لا حول لها ولا قوة ؛ ولم يُكرهها على الإسلام، بل أعطاها حرية الاختيار، حتى اختارت الإسلام، واختارت أيضا عدم الزواج منه ﷺ بعد إسلامها، فأي احترام هذا لحقوق الأسرى؟!..»[2].

٢. لما أُسرت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود دعاها

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/ ٢٤٥، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي: ٤/ ٢٤. المحقق: د. عبدالمعطي قلعجي الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) أخلاق النبي ﷺ في الحرب، لأماني زكريا الرمادي ص: ١٥٤، ١٥٥. متاح على هذا الرابط: www.rasoulallah.net

الرسول ﷺ للإسلام رفقًا ورحمة بها، وخيّرها بين إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها، وبين الزواج منه فقال لها: «إن أقمت على دينك لم أكرهك، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك، قالت: أختار الله ورسوله والإسلام. فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني وجعل عتقي مهري رضي الله عنها»[١].

المطلب الثالث
رحمة النبي ﷺ في العفو عن أسرى الحرب وإطلاق سراحهم بلا فداء

لقد اهتم النبي ﷺ بأمر أسرى الحرب، ووصى بإطلاق سراهم والمنِّ عليهم، فقال: «فكوا العاني، يعني: الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض»[٢] وطبق ﷺ هذا عمليًا في حروبه وغزواته فكان كثيرًا ما يطلق سراح الأسرى بلا فدية مالية أو تبادل أسرى رحمة بهم وشفقة عليهم وعلى حسب ما تقتضيه المصلحة، وحدث عن هذا ولا حرج فقد أطلق النبي ﷺ بلا مقابل سراح ستة آلاف أسيرًا من سبي هوازن من النساء والصبيان والرجال في غزوة حنين وقعوا في الأسر[٣].

ومنَّ رسول الله ﷺ بغير فداء -أيضًا- على ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ وأصحابه من جبال التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلمًا "فأعتقهم رسول الله ﷺ"[٤].

(١) الواقدي: المغازي: ٢/ ٦٧٤، ٦٧٥.
(٢) صحيح البخاري: ٤/ ٦٨ حديث رقم: ٣٠٤٦ كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير.
(٣) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٧٥ حديث رقم: ٦٧٢٩ وقال المحقق (أحمد شاكر): إسناده صحيح، الأموال لحميد بن مخلد بن قتيبة المعروف بابن زنجويه ص: ٣١٢ حديث رقم: ٤٨٣، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٣٣- ١٤٣٦ حديث رقم: ١٨٠٧كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد =

وأطلق ﷺ سراح ثلاثين شابًا من شباب المشركين كانوا قد أغاروا بسلاحهم على رسول الله ﷺ وأصحابه في أثناء عقد صلح الحديبية، فوقعوا أسرى في قبضة النبي ﷺ، لكنه صلوات الله وسلامه عليه رحمهم، وأطلق سراحهم، بلا عوض ولم ينتقم منهم ويأخذهم بجريرتهم بل عفا عنهم وأحسن إليهم، وفك أسرهم.. "[1]، «فهذا عفو في موقف عجيب، فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت لهم العدة لحربهم، ومع ذلك لم يأخذ الرسول ﷺ هؤلاء الأسرى رهينة بل يمن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين، حتى في هذا الموقف الصعب، إنها الرحمة في أرقى صورها"[2].

وأطلق ﷺ أيضًا - سراح ثمامة بن أثال الحنفي بلا عوض، بعد أن أسره الصحابة ﷺ، وربطوه في سارية من سواري المسجد، فقال لهم النبي ﷺ "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، " يا محمد ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله، ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله، ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ[3]. فإطلاق سراحه كان سببًا في إسلامه.

=وغيرها، سنن أبي داود: / ٦١ حديث رقم: ٢٦٨٨ كتاب الجهاد، باب في المن على الأسير بغير فداء، واللفظ له.

(١) راجع القصة في مسند الإمام أحمد: ٢٧/ ٣٥٤، ٣٥٥ وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): إسناده صحيح.

(٢) الرحمة في حياة الرسول ﷺ لراغب السرجاني ص: ٣١٦.

(٣) صحيح البخاري: ١/ ٩٩ حديث رقم: ٤٦٢، كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضا في المسجد، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٦ حديث رقم: ١٧٦٤، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه، واللفظ لمسلم.

المطلب الرابع
رحمته ﷺ في إطلاق سراح أسرى الحرب بفداء

لقد فك رسول الله ﷺ أسر الكثير من المشركين رحمة بهم وشفقة عليهم وعلى ذويهم بفدية مالية أو علمية، اقتضتها الحكمة والمصلحة أو بصفقة تبادل الأسرى مع المشركين من ذلك إطلاقه ﷺ سراح أسرى بدر، فمنهم من أطلق سراحه بلا فدية، ومنهم من فك أسره بفدية، سواء أكانت مالية أو تعليمية، حيث "منّ ﷺ على أبي عزة الشاعر يوم بدر، فأطلق سراحه بلا عوض"(١) و«فادى بعض أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف إلى أربع مئة»(٢) وقد راعى النبي ﷺ في الفدية المالية الظروف المادية لكل أسير، فمن لم يكن معه مال جعل رسول الله ﷺ فداءه أن يعلم عددًا من أولاد الأنصار القراءة والكتابة فعن ابن عباس، قال: "كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"(٣) «وهذه أسهل مهمة بالنسبة للأسير، ولم يسبق إليها رسول الله ﷺ، يتطلع إلى دولة العلم والتفكير الصحيح والاعتقاد بالتوحيد، وللأسف فإن الإنسانية لم تنتبه حتى يومنا هذا إلى هذا الحكم النبوي الكريم، الذي طبقه سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنًا، في وقت لم تكن للثقافة قيمة ولا للأسير حاجة، ولا توجد جمعيات دولية أو منظمات تهتم بالأسرى»(٤).

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٦/ ٥٢٠ حديث رقم: ١٢٨٣٩ وقال: هذا إسناد فيه ضعف، وهو مشهور عند أهل المغازي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية: ٥/ ٦٠ - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ومصنف عبدالرزاق: ٥/ ٢١١، وأشار إليه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: ٤/ ٣٢٨ وحسن إسناده، وعزاه لابن سعد في الطبقات، وصحح إسناده.

(٣) مسند الإمام أحمد: المسند: ٤/٩٢ حديث رقم: ٢٢١٦ وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): حديث حسن.

(٤) حقوق الأسرى في الإسلام صالح عبدالله الشثري متاح على هذا الرابط:. http://www.islamto-day.net/bohooth/artshow-861314.htm

وممن أطلق النبي ﷺ سراحهم بتبادل أسرى في غزوة بدر عمرو بن أبي سفيان بن حرب حيث أطلق سراحه مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن زيد بن أكال، أحد بني عمرو بن عوف، كان قد وقع أسيرًا في يد أبي سفيان وهو يعتمر(١).

يقول المفكر البريطاني اللورد هدلي، وهو يعلق على معاملة النبي ﷺ لأسرى غزوة بدر " أفلا يدل هذا على أن محمدًا لم يكن متصفًا بالقسوة، ولا متعطشًا للدماء، كما يقول خصومه، بل كان دائمًا يعمل على حقن الدماء قدر المستطاع"(٢).

وقد أطلق الرسول ﷺ سراح رجل من بني عقيل مقابل أن يطلق بنو ثقيف – وقد كانوا حلفاء لبني عقيل – سراح رجلين من الصحابة كانوا قد أسروهما رحمة ورأفة بهم جميعًا، فعن عمران بن حصين، قال: كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: «إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا، فرجع إليه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم، قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»، ثم انصرف، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال:

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبدالقادر، أبي العباس المقريزي: ١/ ١١٤، المحقق: محمد عبدالحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة لحسين حسينى معدي ص: ١٠٤، الناشر: دار الكتاب العربى – دمشق ط١– ١٤١٩هـ.

«هذه حاجتك»، ففدي بالرجلين،»[1] ومن الفوائد المستنبطة في هذا الحديث: (رحمة الرسول ﷺ ورفقه كما هو ظاهر، وقد أشار إلى ذلك الصحابي، عندما قال: وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا وحلمه وصبره ﷺ فقد ناداه الأسير عدة مرات باسمه يا محمد، دون صفته يا رسول الله. وهو يجيبه في كل مرة ويأتيه ويقول له: ما شأنك؟..)[2].

المطلب الخامس
رحمته ﷺ بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم

لقد تعددت مظاهر رحمة الرسول ﷺ بالأسارى في حال الاحتفاظ بهم، وعدم إطلاق سراحهم بعوض أو بدون عوض، أو في حال الاحتفاظ بهم، إلى أن يطلق سراحهم، من هذه المظاهر ما يلي:

مظاهر رحمة الرسول ﷺ بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم:

أولًا: رحمته ﷺ في الوصية بهم خيرًا:

«لقد كانت القاعدة العامة التي حَثّ عليها رسول الله ﷺ في أول غزوة غنم فيها المسلمون أسرى هي: «اسْتَوصُوا بِهِمْ -أي بِالأَسْرَى- خَيْرًا».[3] وهذه المعاملة الحسنة التي أمر بها رسول الله ﷺ للأسرى لم تكن مجرّد قوانين نظرية ليس لها تطبيق في واقع الحياة، ولكنّها تمثلت في مظاهر كثيرة

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٦٨ حديث رقم: ٣٠٤٦ كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، صحيح مسلم: ٣/ ١٢٦٢ حديث رقم: ١٦٤١ كتاب النذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد.

(٢) شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة لعبدالله قادري الأهدل ص: ٨٧ متاح على هذا الرابط https://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني: ٢٢/ ٣٩٣ حديث رقم: ٩٧٧ المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، وقال الهيثمي: إسناده حسن. انظر:: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٦/ ٨٦ حديث رقم: ١٠٠٠٧، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.

تنبئ عن قلوب ملأتها الرحمة، وعن مشاعر فاضت بالعطف والحنان"[1].

وسيظهر هذا من خلال النقاط الآتية:

ثانيًا: رحمته ﷺ في الحرص على سلامة الأسرى البدنية، وعدم التعرض لهم بأذى:

لقد كان النبي ﷺ حريصًا على حياة الأسرى، وسلامة أبدانهم وأرواحهم، وعدم التعرض لهم بقتل أو أذى، لذا نجده ﷺ ينهى عن قتلهم يوم فتح مكة عندما بعث ﷺ مناديه ينادي في الصحابة رضي الله عنهم، قائلًا: «ألا لا يجهز على جريح، ولا تتبعن مدبرًا، ولا تقتلن أسيرًا، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»[2]. انظر: كيف كرم رسول الإسلام الأسير، وضمن له الحفاظ على حياته، وأنه لا يمكن أن يتعرض له أحد بأذى، فلا يجوز في الإسلام لمن أسر أسيرًا أن يقتله، بل عليه أن يسلمه لإمام المسلمين، ويتشاور الإمام مع قادته، وأصحاب الرأي عنده: كيف يعاملون الأسرى، بل إن القرآن الكريم حثّنا على أن نحسن إلى الأسرى، فقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان:٨]. ومما ورد في السنة العملية أن النبي ﷺ على الرغم من كل ما صنعه يهود بني قريظة[3] من عداء وخيانة للمسلمين، فقد أبى ﷺ أن يبقوا في شدة الحر، بل أمر أصحابه أن يتركوهم في وقت القيلولة، وأن يسقوهم ماءً باردًا ....»[4].

بل إن الأمر وصل إلى ما هو أبعدَ من ذلك، حيث منعُ النبي ﷺ تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدوّ، فقد أنكر النبي ﷺ على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش، وقعا أسيرين في أحداث

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ لراغب السرجاني ص: ٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) الأموال لابن زنجويه ص: ٢٩١ حديث رقم: ٤٥٠.
(٣) المغازي للواقدي: ٢/ ١١٤ وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل القصة.
(٤) معاملة الأسرى، محمد راتب النابلسي، متاح على هذا الرابط: http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=4858&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49

غزوة بدر، فقال لهم منكرًا عليهم فعلهم هذا: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْش. «مع أن هذين الغلامين اللذين ضُرِبَا كانا يمدّان الجيش المعادي بالماء»[1].

ولما حدث ما حدث من قتل خالد بن الوليد ﷺ لأناس من بني جذيمة وأسر منهم، وأمر بقتل الأسرى غضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وتبرأ ﷺ من فعله هذا، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ "بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره. فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: " اللهم اني أبرأ إليك مما فعل خالد مرتين"[2].

ثالثًا: رحمته ﷺ في الحرص على سلامة الأسرى النفسية والروحية:

«إن الإسلام يرفع من قيمة البشر، ويحترم المشاعر الإنسانية احترامًا كبيرًا سواءً مع المسلمين أو مع غيرهم، قد وجدنا تطبيقات عملية كثيرة لهذا الأمر في حياة النبي ﷺ ويظهر هذا الأمر بوضوح في أوقات الشدائد وبعد الحروب خاصة فنجد النبي ﷺ يوجه أصحابه الكرام توجيهات إنسانية راقية، في شأن التعامل مع الأسرى من النساء والأطفال، فينهى عن التفريق بين الأم وطفلها"[3] فعن أبي عبدالرحمن الحبلي قال: كنا في البحر، وعلينا عبدالله بن قيس الفزاري، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فمر بصاحب المقاسم وقد أقام السبي، فإذا امرأة تبكي، فقال: ما شأن هذه؟

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/ ١٦٦. وانظر: هذا الرابط: http://islamstory.com/ar.
(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٧٣ حديث رقم: ٧١٨٩ كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد.
(٣) الرحمة في حياة الرسول ﷺ لراغب السرجاني ص: ٣٢٨، ٣٢٩.

قالوا: فرقوا بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها، فانطلق صاحب المقاسم إلى عبدالله بن قيس فأخبره، فأرسل إلى أبي أيوب، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحبة يوم القيامة"(١).

وإليك أخي القارئ الكريم هذه القصة التي تدل على مدى رقة قلب النبي ﷺ ورحمته، خاصة بالنساء من الأسرى، ومراعاة مشاعر الأم التي يكاد ينفطر قلبها عند فراق وليدها، فعن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن أبا أسيد الأنصاري، قدم بسبي من البحرين فصفوا، فقام رسول الله ﷺ فنظر إليهم، فإذا امرأة تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: بيع ابني في بني عبس، فقال رسول الله ﷺ لأبي أسيد: «لتركبن فلتجيئن به»، فركب أبو أسيد فجاء به»(٢).

«لقد رق قلب النبي ﷺ للمرأة الأسيرة، فأرسل أحد جنوده إلى بلد بعيد، ليأتي لها بابنها، حتى يهدأ بالها، وتجف دموعها.

ولعل السؤال الأبرز هنا الذي يخطر على بالنا الآن: هل هناك قائد عسكري في العالم ينتصر في معركة، فيشغل نفسه وجنوده لإسعاد امرأة أسيرة بسيطة لا يعرفها أحد؟.

الإجابة التي يعرفها الجميع: هي أن ذلك أبدًا لا يكون، إلا أن يكون هذا القائد هو محمد رسول الله ﷺ وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧](٣).

ولما وقعت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب، في الأسر بعد فتح

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٨/ ٤٨٥، ٤٨٦ حديث رقم: ٢٣٤٩٩وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط) إسناده حسن.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٥٩١ حديث رقم: ٦١٩٣ هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وقال الذهبي بهامش المستدرك: مرسل.
(٣) الرحمة في حياة لرسول ﷺ لراغب السرجاني ص: ٣٢٩.

خيبر، وكان أبوها وأخوها وزوجها قد قُتلوا في المعركة وجاءت مع الأسرى، فبعث بها رسول الله ﷺ مع بلال إلى رحله، فمر بلال بها وبابنة عمها على القتلى، فصاحت ابنة عمها صياحا شديدًا، فكره رسول الله ﷺ ما صنع بلال،وقال له: «أذَهبَت منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟» فقال بلال: «يا رسول الله ما ظننتُ أنك تكره ذلك، وأحببتُ أن ترى مصارع قومها»[1].

فتأمل كيف حرص النبي ﷺ على مشاعر هذه الجارية التي اضطربت مشاعرها عندما رأت جثة أبيها وأخيها وزوجها وغضب غضبًا شديدًا لذلك وصرح بأن هذا مناقض للرحمة ومراعاة المشاعر والأحاسيس.

رابعًا: رحمته ﷺ في الإنفاق على الأسرى:

«إن الإنفاق على الأسير ومساعدته مما يُثَاب عليه المسلمُ؛ وذلك بحكم ضَعْفِه وانقطاعه عن أهله وقومه، وشِدّة حاجته للمساعدة، وقد قرن القرآن الكريم برّهُ ببِرّ اليتامى والمساكين؛ فقال في وصف المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨][2]، وهذا حق من حقوق الأسرى ومن منطلق رحمته ﷺ حرص على مراعاته، وتتمثل رحمته ﷺ في مراعاة هذا الحق فيما يلي:

١. رحمته ﷺ في توفير الطعام والشراب للأسرى:

لقد حرص النبي ﷺ على توفير الطعام والشراب للأسرى رحمة بهم وشفقة عليهم حتى لا يموتوا جوعًا أو عطشًا إذ إنهم من الفئات الضعيفة التي تستحق العطف والشفقة والإحسان والمعاملة الإنسانية،

(١) ()المغازي للواقدي: ٢/ ٦٧٤.
(٢) أخلاقيات الحروب في الإسلام راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: ttp://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

التي تحفظ كرامتهم، وترعى حقوقهم، فكان ﷺ يطعم الأسرى ويحسن إليهم ويحث الصحابة رضي الله عنهم على إطعامهم والإحسان إليهم، فكانوا يقدمون لهم أجود الطعام، وهو أحب إليهم وقد يكونوا في أشد الحاجة إليه، لذا استحقوا ثناء الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان:٩] وبقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٩].

فعندما أسر الصحابة رجلًا من بني عقيل، وقد كانوا حلفاء بني ثقيف، قال هذا الأسير: «يا محمد، يا محمد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: «هذه حاجتك»[1] وإليكم شهادة من أحد الأسرى تظهر رحمة النبي الكريم بهم، وطاعة أصحابه الأبرار لأوامره ﷺ، فعن أبي عزيز بن عمير، أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيرًا، وكنت في نفر من الأنصار، وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ إياهم»[2] إنها الرحمة والإيثار.

٢. رحمته ﷺ في توفير الكسوة للأسرى:

لم يقتصر الإنفاق على الأسرى على إطعامهم أو سقيهم، بل شمل أيضًا كسوتهم وستر أبدانهم وعوراتهم وهذا ما فعله النبي ﷺ معهم، ووصى به أصحابه رضي الله عنهم رحمة بهم وعطفًا وشفقة عليهم حتى يقوا أنفسهم حر الصيف أو برد الشتاء: فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: "لما كان يوم بدر أتي بأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، «فنظر النبي ﷺ له

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٦٢ حديث رقم: ١٦٤١ كتاب النذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد

(٢) المعجم الكبير، للطبراني: ٢٢/ ٣٩٣ حديث رقم: ٩٧٧، وقال الهيثمي: إسناده حسن: مجمع الزوائد: ٦/ ٨٦ حديث رقم: ١٠٠٠٧

قميصًا، فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه» قال ابن عيينة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه"[1] ولم يكسه النبي ﷺ لأنه عمه فقط، بل لأنه أسير لا حول له ولا قوة ولا يجد ما يكسو به نفسه.

وأمر النبي ﷺ لأسرى هوازن في غزوة حنين بكسوتهم وتوفير الثياب لهم فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ أمر رجلًا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياب المعقد، فلا يخرج الحُر منهم إلا كاسيًا"[2] وما ذلك إلا رحمة بهم وشفقة عليهم.

٣. رحمته ﷺ في توفير المأوى والمسكن للأسرى:

من رحمة النبي ﷺ بالأسرى أنه كان لا يتركهم موثقين في العراء بلا سكن ولا مأوى، بل كان ﷺ يوفر لهم السكن والمأوى، لأنهم قد فارقوا أهلهم وأوطانهم وسكنهم، فلا مأوى لهم يؤويهم، ولاسكن يقيهم حر الصيف أو برد الشتاء، فكان يُسكنهم أحيانًا في المسجد حتى يطلعوا على عبادة المسلمين وأخلاقهم ومعاملتهم، لعلهم يتأثرون بها ويدخل الإيمان في قلوبهم كما حدث مع ثمامة بن أثال الحنفي[3]، حيث كان موثقًا في المسجد كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد:٤] فلما أطلق النبي ﷺ سراحه أسلم في الحال لما رأى من رحمة النبي ﷺ به ولما رآه من حسن أخلاق الصحابة وطاعتهم لربهم.

وأحيانًا كان ﷺ يُسكن الأسير بيتًا من بيوت الصحابة رضي الله عنهم فعن

(١) الإمام البخاري: صحيح البخاري: ٤/ ٦٠ حديث رقم: ٣٠٠٨ كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى.
(٢) البيهقي: دلائل النبوة: ٥/ ١٩٣ باب وفود وفد هوازن على رسول الله ﷺ.
(٣) سبقت قصة ثمامة رضي الله عنه ص: ٢٩

الحسن البصري قال: "كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه"(١).

خامسًا: رحمته ﷺ في الرفق بالأسرى واحترام آدميتهم:

لقد كان النبي ﷺ يرفق بالأسرى ويحترم آدميتهم ولا يمتهن كرامتهم فعندما رأى النبي ﷺ أسرى يهود بني قريظة موقوفين في العراء، عطشى في يوم شديد الحر نهى ﷺ عن تعذيبهم وامتهان كرامتهم، وأمر بأن يحسنوا إليهم ويقيلوهم من حر الشمس، ويسقوهم حتى يرووا ظمأهم، رفقًا ورحمة بهم واحترامًا لآدميتهم فقال مخاطِبًا للصحابة المكلّفين بحراستهم: «أحسنوا إسارهم، وقيّلوهم، واسقوهم، حتّى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حرّ الشّمس وحرّ السّلاح» وكان يومًا صائفًا، فقيّلوهم وسقوهم»(٢).

ولما أسر بعض الصحابة غلامين من قريش أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص بن سعيد، وأخذوا يضربوهما، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ سجد سجدتيه، ثم سلم، وقال معاتبًا لهم: "إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش"(٣).

وفي غزوة الخندق نوفل بن عبدالله تردى به فرسه فقتل، فبعث أبو

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد ابن جزي الكلبي: ٢/ ٤٣٨، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري: ٦/ ٤١٣، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، وهو حديث مرسل.

(٢) المغازي للواقدي: ٢/ ١١٤، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي: ٥/ ١٣ ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/ ١٦٦.

سفيان إلى النبي ﷺ بديته مئة من الإبل، فأبى النبي ﷺ وقال: «خذوه؛ فإنه خبيث الدية، خبيث الجثة»[1].

فانظر: كيف رحم النبي ﷺ هؤلاء الأسرى وعاملهم بالرفق واحترم إنسانيتهم وآدميتهم حتى بعد موتهم مع أنهم أعداء له ولو ظفروا به أو بأحد من أصحابه قبل أسرهم أو موتهم ما رحموهم حقًا إنه الرؤوف الرحيم صاحب الخلق العظيم والرفق العميم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

هذه هي معاملة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم للأسرى من الأعداء المخالفين في الدين، إنها معاملة تفيض بالرحمة والرأفة والرفق وتنبع من قلوب رحيمة، معاملة تحفظ حقوق الأسرى المادية والنفسية والبدنية وحرية الاعتقاد، وتحفظ مشاعرهم وكرامتهم وآدميتهم، معاملة قائمة على العدالة والمساواة، فهل هناك قائد من القادة غير المسلمين أو جنوده تعاملوا مع أسرى المسلمين مثلما تعامل النبي ﷺ وأصحابه مع أسرى المخالفين أعداء الدين؟ أبدًا لم يحدث هذا، بل تعاملوا معهم معاملة تقشعر لها الأبدان، ويَشِيب لها الولدان، وتضع لها ذات الحمل حملها، عاملوهم بكل عنف ووحشية وقسوة وإرهاب، قطعوهم إربًا أفرادًا وجماعات ومزقوهم كل ممزق، وأحرقوهم بالنار، وسلطوا عليهم الكلاب العقور تأكل أجسادهم، وتقطع أعضاءهم، وحبسوهم في سجون غير آدمية ومنعوا عنهم الطعام والشراب والكساء في حر الصيف وبرد الشتاء، وحرموا ذويهم وأهلهم من رؤيتهم، دون مراعاة لأي حقوق إنسانية أو رحمة قلبية والتاريخ والواقع خير شاهدان على هذا، وحسبي الله ونعم الوكيل[2].

(١) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة: ١٠/ ٤٥٥ أثر رقم: ٣٠١٠١.
(٢) إن أردت الاطلاع على هذه الجرائم ضد الأسرى فارجع إلى العلاقات الدولية في الإسلام لمحمد أبي زهرة ص: ١١٠، ١١١ ط: دار الفكر العربي - القاهرة - مصر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م،، أسرى الحرب عبر التاريخ عبدالكريم فرحان ط: دار الطليعة - بيروت.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد شاء الله العلي القدير ﷻ أن أتحدث في بحثي هذا عن خلق من أخلاق الرسول ﷺ وصفة من صفاته الكريمة، ألا وهي رحمته ﷺ بالمخالفين له في الدين والعقيدة في أثناء الحرب والقتال وها أنا قد انتهيت من الكتابة فيه، وأرجو أن أكون قد تناولت هذا الموضوع المهم من جميع جوانبه، وبينت جميع عناصره، وأحسنت في اختيار تعبيراتي وانتقاء ألفاظي، فإن كنت قد أحسنت فمن الله المتصف بصفات الكمال وكمال الصفات، وإن كنت قد أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، أعوذ بالله من نفخه ووسوسته ونفثه ولماته.

هذا وقد أثمر البحث عن عدة نتائج أهمها:

١. أن رحمة النبي ﷺ بالمخالفين له من الأعداء في الحرب جزء من الرحمة العامة، التي أرسله الله من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

٢. أن رحمة الرسول ﷺ بالأعداء المخالفين له عامة، وفي الحرب خاصة ليست صفة عارضة بل هي من جوهر شخصيته ﷺ، التي صبغت حياته، وسبقت سائر صفاته.

٣. أن الرحمة في ميدان الحرب والقتال مجال عظيم لا تصدر إلا من نبي، وهي أمر غير متوقع أن يحدث، ولكن الرسول ﷺ كان على غير الظن والتوقع، لأنه صاحب القلب الرحيم، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين: المسلمين وغير المسلمين ففاقت رحمته الوصف، وزادت عن الحد.

٤. أن رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين له في الدين والعقيدة هي أبلغ رد على المغرضين الذين يصفون الإسلام ونبيه ﷺ بالعنف والتطرف والإرهاب.

٥. أن رحمة الرسول ﷺ بالأعداء المخالفين له في ميدان الحرب والقتال شملت المحاربين والمستكرهين على الحرب والمستأمنين والفارين منها والمستسلمين والمدنيين وكذا بيئتهم والأسرى منهم.

٦. أن رحمة النبي ﷺ بالأسرى ومراعاة حقوقهم رحمة عظيمة لن يصل إليها قانون دولي ولا منظمة دولية.

ومن أهم التوصيات ما يلي:

١. إبراز جانب الرحمة في حياة الرسول ﷺ خاصة بالمخالفين له في الدين والعقيدة عن طريق نشر البحوث والمقالات المختصة بذلك باللغة العربية واللغات الأخرى، ليطلع عليها القاصي والداني من غير المسلمين، فيتعرفوا على رسول الرحمة ونبي الإنسانية ﷺ ويكفوا عن الإساءة إليه، إذ إن الإنسان عدو ما يجهل.

٢. الإكثار من عقد المؤتمرات الدولية التي تهتم بالعلوم والأخلاق الإسلامية العظيمة ونشر أعمال هذه المؤتمرات عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وكذا شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغة العربية ولغات متعددة بصفتها وسيلة من وسائل الدعوة ونشر العلوم والمعارف والأخلاق الإسلامية السامية.

وصلى الله وسلم على نبي الرحمة ورسول الهدى وعلى آله وصحبه مصابيح الدجى.

فهرس المراجع والمصادر

١. آداب الحرب في الإسلام: أحمد هاشم: متاح على هذا الرابط: http://www.masrawy.com/Islameyat/Makalat-Other/details/2015/2/16/461614

٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان - محمد بن حبان أبو حاتم البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت

٣. أحكام أهل الذمة - محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: يوسف بن أحمد البكري، الناشر: رمادى للنشر - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤. الأحكام السلطانية - علي بن محمد بن محمد البغدادي، أبو الحسن الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) - الناشر: دار الحديث - القاهرة.

٥. أخلاق الحروب في السنة النبوية - راغب السرجاني، الناشر - مؤسسة اقرأ - القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ.

٦. أخلاق النبي ﷺ في الحرب: أماني زكريا الرمادي: متاح على هذا الرابط: www.rasoulallah.net

٧. أخلاقيات الحروب في الإسلام-راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

٨. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: أحمد بن علي أبو العباس المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبدالحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩. الأموال – حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبدالله المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير – محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محَمَّد صُبْحي حَسَن – الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

١١. التسهيل لعلوم التنزيل – محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: عبدالله الخالدي – الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية،– بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ.

١٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة.

١٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم– عبدالرحمن بن أحمد البغدادي، ثم الدمشقي، المعروف بابن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)،تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط٧.

١٥. الرحمة في حياة الرسول ﷺ راغب السرجاني، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م

١٦. حقوق الأسرى في الإسلام – صالح عبدالله الشثري: متاح على هذا الرابط:. http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-861314.htm

١٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (المتوفى: ٢٥٦)، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبدالمعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث،الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٩. الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة: حسين حسينى معدي:، الناشر: دار الكتاب العربى دمشق ط١ ١٤١٩هـ

٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ابن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، أبو عبدالرحمن الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى.

٢٢. سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٣. سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٤. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد - محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت ٩٤٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود - ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٥. رعاية البيئة في شريعة الإسلام - يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط: دار الشروق.
٢٦. سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي وآخرون.
٢٧. سنن سعيد بن منصور - سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي - الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.
٢٨. السنن الكبرى - أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة.
٢٩. السنن الكبرى - أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبدالرحمن النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٠. السيرة النبوية-عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٣١. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تحقيق: مصطفى عبدالواحد - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
٣٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) - شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) ط١.

٣٣. شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة - عبدالله قادري الأهدل متاح على هذا الرابط https://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm

٣٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري - محمود بن أحمد بن موسى الحنفى المعروف بالبدر العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ.

٣٧. الفائق في غريب الحديث والأثر - محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي - الناشر: دار المعرفة - لبنان الطبعة الثانية.

٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٣٩. قالوا عن الإسلام - عماد الدين خليل:، الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري - عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ثم الدمشقي، المعروف بابن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية- الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: - علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي- الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة - عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤٢. مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان.دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٣. مجموع الفتاوى - أحمد بن عبدالحليم أبو العباس المعروف بابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

٤٤. المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٥. المسند: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد - الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٤٦. المسند - أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٤٧. مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٤٩. المصنف – عبدالرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي- الهند – المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٠. المصنف في الأحاديث والآثار – عبدالله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر المعروف بابن أبي شيبة العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥١. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد ﷺ سارة آدم إعداد زيد عمر العيص بدون طبعة

٥٢. معاملة الأسرى في الإسلام عبدالعظيم المعطني متاح على هذا الرابط. http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=242047

٥٣. معاملة الأسرى – محمد راتب النابلسي: متاح على هذا الرابط: http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=4858&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49

٥٤. المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

٥٥. المغازي – محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني، أبو عبدالله (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.

٥٦. موقف الإسلام من العبث البيئي – مولاي المصطفى البرجاوي: مقال على هذا الرابط: http://www.alukah.net/culture/0/36923/#ixzz3giX49Wei

٥٧. هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب – جابر أبو بكر الجزائري، ط: دار الشروق – جدة دار الخاني – الرياض.

٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة، الثانية، ١٣٩٢هـ.
٥٩. النهاية في غريب الحديث والأثر - المبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة علمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى.
٦٠. نيل الأطار - محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.٦٢